العنوان:	مهندس إسقاط الشيوعية في تشيكوسلوفاكيا السابقة : رحيل فاتسلاف هافيل .. أول أديب ورئيس دولة
المصدر:	مجلة الدبلوماسي
الناشر:	وزارة الخارجية - معهد الأمير سعود الفيصل للدراسات الدبلوماسية
المؤلف الرئيسي:	العبودي، اسماء
المجلد/العدد:	ع 59
محكمة:	لا
التاريخ الميلادي:	2012
الشهر:	فبراير
الصفحات:	52 - 55
رقم MD:	390518
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	EcoLink
مواضيع:	حقوق الإنسان ، فاتسيلاف هافيل ، رئيس تشيكوسلوفاكيا، التراجم ، تشيكوسلوفاكيا، نظم الحكم ، النظم السياسية ، السلام
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/390518

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

مهندس إسقاط الشيوعية في تشيكوسلوفاكيا السابقة
رحيل فاتسلاف هافيل ... أول أديب ورئيس دولة

أسماء العبودي

الرياض

بعد حياة حافلة أثرى فيها الساحة السياسية والثقافية والأدبية والفنية والشعرية التشيكوسلوفاكية، رحل الكاتب المسرحي والشاعر والمنشق التشيكوسلوفاكي السابق فاتسلاف هافيل في ١٨ ديسمبر ٢٠١٢ عن عمر يناهز الخامسة والسبعين بعد صراع طويل مع مرض السرطان، ويعد هافيل مهندس إسقاط الشيوعية في تشيكوسلوفاكيا السابقة إبان (الثورة المخملية) في تشرين الثاني / نوفمبر من العام ١٩٨٩، وهو أول أديب يصبح رئيسا لدولة في القرن العشرين، حيث تولى الرئاسة تشيكوسلوفيا من ٢٩ ديسمبر ١٩٨٩ حتى ٢٠ يوليو ١٩٩٢ ثم رئاسة جمهورية التشيك من ٢ فبراير ١٩٩٣ حتى ٢ فبراير ٢٠٠١م.

حياته:

ولد الكاتب المسرحي فاتسلاف هافيل في براغ عام ١٩٣٦، وقد عُرضت مسرحيته الأولى (حفل الحديقة) التي سخر فيها من النظام الشيوعي الشمولي في عام ١٩٦٣ وفي عام ١٩٦٩ منعه القادة الشيوعيون من ممارسة عمله كاتباً ومحرراً بعد قمع إصلاحات ربيع براغ عام ١٩٦٨، فاضطر للعمل عاملاً يدوياً في مصنع بيرة. وقاد حركة سلمية عُرفت بالثورة المخملية ضد الحزب الشيوعي وسجن عدة سنوات.

وبعد انهيار النظام الشيوعي انتخب هافيل رئيساً لتشيكوسلوفاكيا في ١٩٨٩ رغم أنه لم يكن سياسيا مخضرماً بل رجل أدب وفن ثم انتخب رئيساً لجمهورية تشيكيا في بعد تقسيم تشيكوسلوفاكيا، وأعيد انتخابه مرة أخرى في 1998. وانتهت مدة رئاسته الثانية والأخيرة في فبراير ٢٠٠٣ ليتقاعد عن العمل السياسي.

وقد كتب هافيل العديد من المسرحيات والأعمال الأدبية قبل انتخابه رئيساً، كما حصل على تسع شهادات دكتوراه فخرية.

وفي سبتمبر ٢٠٠٢ ألقى فاتسلاف هافيل خطبة في نيويورك بعنوان "وداعا للسياسة A Farewell to Politics" وكانت بمناسبة آخر زيارة له للولايات المتحدة الأمريكية بصفته رئيساً لجمهورية تشيكيا وقد نشرت في "مجلة نيويورك لمراجعة الكتب" العريقة في ٢٤ أكتوبر ٢٠٠٢ .

وتحفل حياة هافيل الأدبية ب ٦ دواوين شعرية و٢٢ مسرحية و٩ كتب فكرية كان أولها "قوة الضعفاء" في عام ١٩٨٥. كما صدرت مذكراته بالإنجليزية في عام ٢٠٠٧ بعنوان "إلى القلعة والعودة منها"، وفي عام ٢٠٠٩ صدرت آخر مسرحية لهافيل بعنوان "الخنزير أو سعي هافيل لصيد الخنزير"، ومنذ عام ٢٠٠٤، ساند هافيل حزب الخضر التشيكي.

وقد ترجمت خطبة "وداعا للسياسة" ونشرت قبل سنوات ولكننا وجدنا انه من اللائق إعادة نشرها كنوع من التأبين لهذا الأديب الكبير والسياسي العظيم، نظرا لأنها خطبة جميلة فيها الكثير مما يندر وجوده مع رجال السياسة والأدب مثل الصراحة العميقة والمكاشفة الجريئة والشجاعة الأدبية التي تكشف العيوب ونقد الذات، ودع فيها هافيل السياسة ليعود إلى مهنته الحقيقية الثقافة.

وداعاً للسياسة:

"لا أزال أذكر جيداً الحفل التكريمي الذي أقيم لدى وصولي إلى نيويورك في فبراير ١٩٩٠ بصفتي رئيس تشيكوسلوفاكيا المنتخب حديثاً آنذاك. بالطبع لم يكن ذلك الحفل لتكريم شخصي فقط، لكنه كان تكريماً –من خلالي –لكل المواطنين في بلدي الذين تمكنوا بثورة سلمية من إسقاط نظام حكم مستبد، وكان تكريماً لكل الذين قاوموا معي أو قبلي هذا النظام بوسائل سلمية. الكثير من محبي الحرية في العالم اعتبروا انتصار الثورة المخملية التشيكوسلوفاكية أملاً رائداً من أجل عالم أكثر إنسانية. عالم يمكن أن يكون للشعراء فيه صوت مسموع مثل صوت أصحاب البنوك.

اجتماعنا اليوم، الذي لا يقل حميمية، يقودني إلى تساؤل منطقي: هل تغيرت بسبب الرئاسة خلال ثلاثة عشر عاماً تقريباً؟ وهل غيرتني التجارب الهائلة التي عشتها خلال فترة رئاستي التي تزامنت مع اضطرابات عالمية كبرى؟

وعند محاولة الإجابة على هذا التساؤل اكتشفتُ شيئاً مذهلا، رغم أنه من المتوقع أن تكون هذه التجربة الغنية قد أعطتني الكثير من الثقة بالنفس، فإن العكس هو الصحيح. في فترة رئاستي هذه، أصبحتُ أقل ثقة في نفسي بصورة كبيرة، ومتواضعاً أكثر من ذي قبل. قد لا تصدقون ذلك، ولكن كل يوم يمر كنت أعاني من رهبة الجماهير، كل يوم أصبحُ أكفر خوفاً ألا أكون أهلا لعملي، أو أنني سوف أشوه صوره الرئاسة. كل يوم تصبح كتابة خُطبي أكفر صعوبة، وعندما اكتبها أكون خائفاً جداً من تكرار نفسي.

كنت خائفاً من الإخفاق الذريع في تحقيق التوقعات، ومن أن أكتشف عدم وجود خبرة لدي للرئاسة، ومن أنني — رغم نيتي الحسنة –سوف أرتكب أخطاء لا مثيل لها، ومن أن أصبح غير جدير بالثقة، وبالتالي أفقد الحق في ممارسة الرئاسة.

وبينما يبتهج الرؤساء الآخرون في كل فرصة يقابلون بعضهم أو أشخاصاً آخرين مهمين، أو يظهرون في التلفاز، أو يلقون خطباً، فإن كل هذه الأمور كانت تجعلني أكثر خوفاً. في بعض الأحيان كنت أتفادى عمداً ذات الفرصة التي ينبغي أن أرحب بها بسبب الخوف غير المنطقي من أني سوف أفسد هذه الفرصة، وربما أضر القضية التي أسعى من أجلها. باختصار: أصبحت متردداً أكثر وأكثر حتى في أموري الشخصية. وكلما زاد عدد أعدائي أصبحت –داخل عقلي –في صفهم أكفر، وبذلك أصبحت أسوأ عدو لنفسي.

كيف يمكن أن أشرح هذا التغير الذي لم يكن محتملا في شخصيتي؟ ربما أفكر في الجواب بعمق أكثر عندما لا أصبح رئيساً، وهذا سيحدث في فبراير ٢٠٠٣، عندما يكون عندي وقت بعد انسحابي وابتعادي عن السياسة والحياة العامة، وأصبح –مرة أخرى –إنساناً حراً تماماً، عندها سأكتب شيئاً غير الخطب السياسية.

أما الآن، فاسمحوا لي أن أقترح سبباً من أسباب عديدة لهذا التغير في شخصيتي. عندما تقدمت في العمر، وأصبحت أكثر نضجاً واكتسبت خبرة وفكرا أعمق، بدأت أفهم تدريجياً مقدار مسؤوليتي والالتزامات الغريبة المصاحبة للعمل الذي قبلته. وكذلك فإن الوقت يقترب دون رحمة من اللحظة التي لا يقوم فيها العالم والذين حولي — والأسوأ ضميري –بسؤالي عن أهدافي ومبادئي، وماذا أريد أن أحقق، وكيف أريد أن يتغير العالم. بل سيبدأون بسؤالي: ماذا فعلت عملياً؟ وماذا حققت من خططي؟ وماذا كانت النتائج؟ وماذا أريد أن يكون ميراثي السياسي؟ وما طبيعة العالم الذي سأتركه خلفي؟ وهكذا أجد الاضطراب الروحي والفكري نفسه، الذي أجبرني على تحدي النظام الشمولي السابق ودخول السجن، يتسبب في أن تكون عندي شكوك قوية في قيمة عملي الذاتي، أو إنجازات الأشخاص الذين عينتهم وجعلت لهم نفوذاً.

كنت عندما استلم شهادات الدكتوراه الفخرية في الماضي، واستمع إلى الخطب التي تمجدني في هذه المناسبات، أضحك داخل نفسي على كوني في أكثر هذه المناسبات أصبحت مثل بطل قصة.

أسطورية، مثل شاب يضرب –باسم الحق والخير–برأسه حائط قلعة يسكن فيها ملك شرير حتى يسقط الحائط ويصبح هو بدوره ملكاً عادلا سنوات طويلة. لست استهين بهذه المناسبات فأنا أقدر جميع شهادات الدكتوراه الفخرية التي حصلت عليها، وشعرت بتأثر شديد في كل مناسبة

وإنما ذكرت هذا التشبيه، الطريف نوعاً ما، لهذه الأشياء لأني بدأت أفهم الآن كيف أن كل شيء كان فخاً شيطانياً نصبه القدر ليا لقد نُقلت بين يوم وليلة إلى عالم الأساطير، ثم في السنوات التي تلت ذلك اضطررت للعودة إلى الواقع والى فضيلة معرفة أن عالم الأساطير هو مجرد وهم إنساني، وأن العالم ليس مشيداً على نمطها. وهكذا ومن غير أن أحاول أن أكون ملكاً أسطورياً، وبالرغم من أني وجدت نفسي مجبراً عملياً على منصبي من خلال مصادفة دبلوماسية من السقوط الموجع على أرض الواقع الصلب سقطت من عالم المتعة الثورية الأسطوري إلى عالم الرتابة "البيروقراطية" الواقعي.

أرجو أن تفهموني جيدا! أنا لا أعني مطلقاً أنني خسرت المعركة، وأن كل شيء كان عقيماً. على العكس العالم والإنسانية والحضارة تمر بأهم تقاطع في تاريخها. لدينها فرصة أكبر من أي وقت مضى لفهم وضعنا وتناقضاتنا، وأخذ قرار في مصلحة العقل والسلام والعدل، وليس لمصلحة تدمير أنفسنا.

لكي نسير في طريق العقل والسلام والعدل نحتاج إلى الكثير من التأمل، والمعرفة والعمل الشاق، وإنكار الذات، والصبر، والاستعداد لمخاطرة سوء الفهم من الآخرين، وفي نفس الوقت نحتاج أن يعرف كل شخص طاقته ويعمل بمقتضاها، متوقعاً أن قوته ستزيد أو تنقص بموجب المهام الجديدة التي وضعها لنفسه. بعبارة أخرى: لن يكون هناك اعتماد على الأساطير، ولن يكون هناك اعتماد على مصادفات التاريخ التي ترفع الشعراء إلى أماكن إمبراطوريات وجيوش سقطت وزالت. أصوات الشعراء التحذيرية ينبغي أن يصغى إليها بعناية وجدية. ربما بجدية أكبر من أصوات صحاب البنوك وسماسرة الأسهم ا لكن وفي نفس الوقت، يجب ألا نتوقع أن العالم عندما يحكمه الشعراء سوف يتحول إلى قصيدة!

ورغم كل ما ذكرته، فإن هناك شيئاً واحد اً أنا متأكد منه دون ريب: بغض النظر عن أدائي الدور الذي أعطي لي، وبغض النظر عن كوني أريده في المقام الأول –أو حتى أستحقه أم لا –وبغض النظر عن مقدار رضاي الشخصي، أنا أعتقد أن رئاستي كانت هبة رائعة من القدر.

على الأقل حصلت على فرصة لأساهم في أحداث تاريخية خلال متغيرات عالمية كبرى. وهذه الفرصة العظيمة كانت – دون شك –تستحق كل الفخاخ المنصوبة خفية داخلها.

والآن اسمحوا لي أن أحاول أن ابتعد عن نفسي، وأن أقدم صياغة لثلاثة من يقينياتي القديمة التي تأكدت منها خلال فترة رئاستي:

أولا: لكي تنجو الإنسانية، وتتجنب كوارث جديدة، فان النظام السياسي العالمي يجب أن يصاحبه احترام صادق ومتبادل بين جميع الحضارات والثقافات والدول، وأن تصاحبه جهود صادقة من الجميع للبحث عن –والعثور على المبادئ الأخلاقية الأساسية المشتركة، وبالتالي مزجها في قواعد عامة تحكم تعايشهم في هذا العالم الوثيق الاتصال.

ثانياً: يجب مواجهة الشر في مهده، ويجب استعمال القوة إذا لم يكن هناك خيار آخر. وإذا كان لا بد من استعمال الأسلحة المتطورة والمكلفة جداً؟ فيجب أن تستعمل بطريقة لا تضر بالسكان المدنيين.

وإذا كان ذلك غير ممكن؟ فإن المليارات التي صرفت على هذه الأسلحة تكون قد ضاعت هدراً.

ثالثاً: إذا فحصنا كل المشاكل التي تواجه العالم اليوم، سواء أكانت اقتصادية أم اجتماعية أم بيئية أم حضارية ة فإننا سوف نواجه –شئنا أم أبينا — إشكالية -- بالعمل الواجب اتخاذه أهو مناسب ومسؤول، من وجهة النظر العالمية البعيدة المدى، أم لا؟

للجواب عن هذا السؤال لا بد من مراعاة المحاور الأساسية والعالمية التالية: النظام الأخلاقي، وحقوق الإنسان، والضمير الإنساني، والفكر المنبثق عن هذه المحاور والذي لا يمكن إخفاؤه خلف ستار من الكلمات المنمقة والنبيلة.

أصدقائي الأعزاء عندما أنظر حولي وأرى أشخاصاً كثيرين مشهورين يبدون وكأنهم هبطوا من مكان ما في السماء العالية، لا أستطيع مقاومة الشعور بأني في نهاية سقوطي الطويل من عالم قصة أسطورية إلى الواقع الصلب أجد نفسي مرة أخرى داخل قصة أسطورية! ربما الفارق الوحيد هو أنني الآن أدرك هذا الشعور أكثر مما كنت أقدر عليه في ظروف مشابهة قبل ثلاثة عشر عاماً"[1].